(٩)

الحياة

هي الدين والجنة والنجاة

حديث الجمعة

٢٦ ربيع الآخر ١٣٨١ هـ - ٨ أكتوبر ١٩٦١ م

ما الدين! ما الكفر! ما الإيمان! ما العذاب! ما الثواب! ما الحساب! ما العقاب! ما الجنة! ما النار! ما القيامة! ما الندامة! ما الشفاعة! ما الساعة! ما الدنيا! ما الآخرة!

كل هذا مما يتردد في الروع، ويتجول في الخاطر، وتهتز به النفس، ويقصر عن إدراكه الحس، ويكل لوعيه العقل. إن الإجابة على هذا كله وعلى كل ما من مثله أو في معناه قد يجده الطالب إذا بحث عن الحياة في نفسه وفيما حوله فتساءل ما الحياة؟

هل هذه الحالة التي نتواجدها هي الحياة؟ أو متى تكون الحياة؟ وما هو كنه الحياة؟ وكيف تطلب الحياة؟ كيف يقوم قائم بحياة؟ فيحيا ويحيي من استحياه، فيحيا به من ناداه!

إن الفهم في الحياة تتعدد إليه المسالك. فالحياة نقطة المركز في دائرة الوجود يطلبها كل من عاش في عوالم المادة على هامش دائرة الحياة. فحول الحياة وكشْف القناع عنها دارت الحكمة قديما وحديثا ودائما وأبدا. ومن نبع الحياة تأسست الديانات بمؤسسيها من الناس، رسلا من أنفسهم قاموا في أزمانهم بمعدلات الحياة للناس في عصورهم. فكانت الحياة نقطة لدائرة، هي لها قلب لعموم الناس، تمثل في فرد من الناس هو الناس رسولا من أنفسهم مما وراءهم من أصولهم.. من الإنسان.. رب الناس ملك الناس إله الناس.

هكذا كان وهكذا يكون وهكذا لم يغب. فما كان من قبل محمد يكون على ما كان من بعد محمد، وهو بعينه ما مثَّله قيام محمد. كان الإسلام من قبله أمرا غريبا على الناس جاءهم به فاستغربوه، وصار الإسلام بعد غروب شمس ذاته غريبا بين الناس الذين جاءهم رسولا من أنفسهم، تكاثر لم يغب. ولكنهم صاروا إلى ما كان من أمرهم من قبله من جفوة لرسول أنفسهم بمعناهم وبجماع معانيهم،

فكانوا بعد غروب شمس ذاته متكاثرة بشموس تكاثره من لدات[1] جنسه كوثرا لهم، على ما كان آباؤهم من قبلهم.. فعاد الإسلام من بعده بينهم إلى غربته، فأصبح الإسلام غريبا في بيئة أهله عن أهله.

دخل الناس بأفول يوم محمد من يومهم في بدء من ليل من عملهم وقيامهم، ما زالوا فيه إلى يومنا هذا. تتابعت شموس القرون أربعة عشر قرنا بأربعة عشر شمس وكواكبها وأقمارها عوالم لله، وما زال الناس من أهل هذه الأرض في نومهم يغطون، وفي ليلهم ينتظرون فجر يوم لشمس ذات محمد مرة أخرى ينتظرون. وهم عنها بينهم يعمهون.

إن شموس القرون في ليل أمته يجحدونها إنما هي ما أشار إليه الرسول من (إن لله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها)[2]، وما أشار إليه من أمر عترته في أمته بينهم تتجدد وذواتها وبيوتها تتعدد.. يجدد الله بها أمر الدين، ويقدم الله بها موائد الحق وأحواض الحياة وسفن النجاة ومعارج اليقين، رحمة للعالمين بمن أرسله وسيلة وإماما للشافعين، ورحمة منه هي رحمته تعالى ربا للعالمين.

أما ما يطلب الناس، وما ينتظر الناس من منتظر من شمس ذات من أنفسهم، تتكشف تحت أضوائها معالم الطريق للسالكين.. حجة من الله يجابه بها المكذبين، ويأخذ بها بيد المستضعفين، ويجعل الأعزين الأذلين، ويجعل المجهولين الأكرمين، وينتصر بها الفقراء من عباده من الناس على الطواغيت العاملين. فإن هذا ما يخشاه العاقلون والعارفون والمؤمنون والمتقون.. إنها الساعة. ولكنها ليست ساعة المؤمنين. إن لكل مؤمن في الله ساعة، ولكل مؤمن في الله قيامة. ولكنها ساعة الكافرين، ساعة الجاحدين، ساعة المخاصمين، ساعة الصادين، ساعة النافرين، ساعة المكذبين، ساعة المقطوعين وقيامة الظالمين. بها يستعجلون بجهلهم والذين آمنوا منها مشفقين قاموها وشهدوها وعلموها يوم علموا الحق من رب العالمين بإيمانهم به من أنفسهم أقرب إليهم من حبل الوريد، معهم في قديم يجهلون، ومعهم في حاضر به يستقيمون، ومعهم يوم بعملهم يبعثون، ومعهم يوم يعرجون في معارج الله إلى الله رب العالمين.. لا يُقدر حق قدره للقاسطين، ولكن يقام أمره، ويعرف خلقه، ويدرك في النفس للنفس سره وجهره.

قام محمد بدر تم لمن قبله. وها نحن في عصرنا هذا يستكمل البدر انحداره لمحاقه في منازل نزوله بعد تمامه أربعة عشر قرنا، يقابلها في الشهر للبدر أربعة عشر يوم. فهل نحن في انتظار فجر جديد ليوم جديد ممن يبدئ ويعيد! ومن هو على كل شيء شهيد! فمرحبا بهلال عيد.. لبدر يتزايد ليتكامل من جديد! هل نحن اليوم في وداع هلال لبقية بدر لمغيب، وفي استقبال إشراقة لهلال بدر جديد، يتكامل في مزيد! {إن موعدهم الصبح. أليس الصبح بقريب}[3] هو الذي يبدأ ويعيد. إننا في هذا

العصر في انتظار فجر ليوم جديد يرهص لشروقه في جلجلة ورعيد. اقتربت الساعة وانشق قمر العبيد. وهوى النجم للجنس السعيد.

إن الله قد أنزل سكينته وأمنه على كل قلب مريد، وإن الله مظهر الأمر على كل نفس شريد. ليس هذا في الحق بجديد، ولكنه عين أمره في القديم والجديد.. دواليك.. ليس تحت الشمس مزيد، وليس تحت الحق عديد، ولكن الجديد هو ما يصدر عن الخلق الجديد من فعل عن إيمان من البشر السعيد، أو عن مباعدة وإحداث من النفس الشريد بانحراف عن الطريق الرشيد إلى أسفل سافلين في القانون الثابت للقيام الطريد.

ها هي الأيام دارت بالآباء والأجداد، ودارت بنا نحن الأبناء والأحفاد.. وها هي قدرة الله وحكمة الله وقوانين الله وصبغة الله وفطرة الله.. ها هي تبعث من وراء الأبناء برازخ الآباء في جديد من الأحفاد، يقوم بهم أمر الله كما قام بآبائهم وأجدادهم يوم قامت بأجدادهم حكمة الله، وتقوم بأحفادهم حكمة الله ورحمة الله ونور الله وأمر الله وحق الله ووجه الله، من خلال آبائهم من الأنبياء عن الله بعثوا بحكمة الله.

لقد دخلت الأمة المحمدية في ليل من أمرها بغيبة ذات محمد تحمل الأمر والبلاغ، وطال بها هذا الليل وإن أولج الله فيه أضواءً من النهار المرة بعد المرة، غلبها الظلام الدامس فأولج أضواء النهار في الليل بعد لمحات من الصحو في إشراقات من اليقين تحققت بها الأحلام من الأماني لسعداء من المؤمنين محظوظين، في لمحات من الحق عرف فيها الحق لأهل اليقين، بعباد للرحمن دبوا على أرض للطواغيت والشياطين، كانت بهم ساعات لوقتها، وكانت بهم قيامات لعصرها، وكان بهم حشر لأهلها.

ولكننا في انتظار فجر تشرق فيه شمس محمد الذي بقي معنا حيا في قبره، منتظرا انشقاق الأرض عنه لتستقبل به شمس حقيقته من عليائها.. إنسان فرق بين القديم والجديد.. وإنسان قيام يعرفه الشقي وقد عرفه من قبل السعيد. إننا في انتظار يوم تظهر فيه حجة الله وتقوم فيه محنة الناس، وتتدارك وتسبق بمحمد فيه رحمة الله قضاء الله وعدل الله، لأن محمدا ما جاء إلا رحمة للعالمين بذاته وبجميع صفاته، في ظهوره وغيبه، لصاحبه وجاحده، لمتابعه ومظاهره وشاهده ومعانده. جاء لا مجال هدي بل جماعه، مجالاتٍ لهدي، يخاطب الناس على قدر عقولهم، يقهرهم ويجبرهم لخيرهم، يسوقهم قهرا عنهم إلى الجنة يجرون بالسلاسل معاندين، ويوردهم الحوض مستجيبين، ويعرج بهم معارج السماء طائعين، ويدخلهم حضرة الحق محبين، ويظهر بهم وجها لله عارفين موحدين.

هذا هو محمد حيا فكان الحياة، ومعارج الحياة، وحوض الحياة، وجنة الحياة، ونار الحياة، وأرض الحياة، وسماء الحياة، فهل ذكره الذاكرون أو صلى عليه المصلون؟ أم نقيقا باسم الصلاة ينطقون، بألفاظ يرددونها، والصلاة في أنفسهم يتوهمونها؟ والصلاة إنما هي صلة بالله رب العالمين في صلة بعبد رحمته للمؤمنين.

هل قامت به صلة توصلهم بحضرته موصولة فعرفوه، فقاموه، فتجددوه، فتكلموه، فكانوا للناس كلامه، وتحدثوه فكانوا للناس حديثه، وقاموا به فكانوا للناس وفي الناس قيامه، وخدموا بحبه الناس فكانوا رحمة الله ورحمته، وقاموا للناس حقيته وأمته؟

أين هم المؤمنون بل أين هم المسلمون، وأين هم في أمته على ما وعد وبشر العارفون؟ إن دينا من وضعهم لله ينسبون، وهو من وضع أنفسهم وأحداث عقولهم من وحي شهواتهم، فيه يحرفون الكلم عن مواضعه والحق عن مراجعه، ويبعدون به كل إنسان في الحق عن موضعه، وفي السلام والسكينة عن مضجعه. لا يعرفون الله ولا رسوله في أنفسهم، ولا في تواجد من تواجد في قديم أو جديد لهم. فكيف يعرفون الله في وحدته ورسوله في رحمته، ثم هم يزعمون أنهم يحملون أمانة الدين، وأمانة التوجيه، وأمانة الريادة والهدي، وأمانة التعريف عن المعروف لغيرهم المجهول عندهم؟! فقهاء الطاغوت وأعداء الملكوت وعباد الجبروت لشياطين أنفسهم.

هذا هو ما آل إليه أمرنا. فنحن في جاهلية من أمر ديننا. ونحن في حاجة إلى أن نجدد بالإسلام عقيدتنا. وأن ندرك ما نحن فيه من غفلتنا. ونحاول أن يكون لنا إلى الله رجعة والى الله متاب. فهلا نفعل، هلا نرجع، هلا نتوب، هلا نستغفر، هلا نؤمن بأن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم فنقول لرسول الله صدقت رسول الله، هلا نعرف أن الله أقرب إلينا من حبل الوريد وأقرب إلينا من الشيطان يجري في نفوسنا مجرى الدم، فنؤمن به كذلك، ونطلبه فينا ليكشف عنا الغطاء فنرانا به فيه على ذلك، للتبليغ مصدقين، وللطريق سالكين، وفي الطبيعة متطورين، وباليقين قائمين، أم ننتظر حتى تأتي سكرة الموت بما عنه نحيد فنجده يأتي على أعمالنا نسبناها لمقطوع وجودنا فيجعلها هباءً، نجد أعمالنا فيه صادرة من معدوم وجود سرابا، ونجده كان معنا لم نعرفه ففقدناه، وتواجدنا فجحدناه، وفارقنا بظاهرة الموت وقمنا عملنا فرأيناه، فقلنا أرجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل، فيقال لنا الصيف ضيعت اللبن؟ فالمرء يبعث على ما مات عليه في قانون الوجود، وأنه لو أرجعهم لعاد المرجع إلى ما نُهي عنه، ولكنه يعطى الفرصة بعد الفرصة ليشهد بقديمه جديده في أصحاب النار كلما نضج له جلد من ذات أنتجها عن لحم ودم من التراب، أضيفت إليه وبعث وليدا في ذات من جلد على ما يشتهي في حاضره من ذاته، هم عنها ليسوا بغائبين ولكنهم ما بدلوا ما في أنفسهم حتى يبدل الله

أمرهم وشأنهم وحالهم وماضيهم ومآلهم. يبدل فيهم حاضرهم إذا ما بدلوا نظرهم لماضيهم، وإذا بدلوا نظرهم لحاضرهم، فإنه ليجدد فيهم قديمهم وقابلهم. إنهم برازخ أنفسهم فيها يبعثون بما هو من ورائهم ليكون بين أيديهم إدراكا لقائم الله على كل نفس منهم، لا تضر نفس بمن ضل ما اهتدت.

فهلا اجتمع الناس على الله وعلى حقه في أنفسهم، وتواصوه في نجواهم وإسرارهم في جهرهم وفي تأملهم، هذا ما تأتيكم به في هذا العصر روح الله. الأرض جميعا قبضتها قبضته، والسموات مطويات بيمينها يمينه. إنها الحياة، إنها الإنسان، إنها البعث، إنها القيامة، إنها الساعة، إنها الحشر، إنها النشر، إنها الفرق والجمع، إنها كل شيء سمعتم عنه أو عرفتم منه عن الدين أو العلم، إنها حقيقة الله، إنها رب الناس، إنها إله الناس، إنها ملك الناس.. ستبرز للناس آياتها، وهي عند المؤمن بارزة، وهي تبرز اليوم في الناس بحقها، وقد ظهرت فيهم من قبل وما زالت بملائكتها.

فهلا يتذكر الناس، هلا يرجع الناس إلى الله في أنفسهم، فيتذكرون هذا الذي يبرز لهم في أنفسهم، وفي الآفاق وفيما حولهم من الأحداث وفيما يتواجد بينهم من غريب ما ينظرون بعيونهم، وفي بارز آيات الله فيما يشهدون من أمرهم وفيما يجرى عليهم من أمورهم؟ هلا يتأمل الناس، إنها لغة الله في الأحداث. إنها كلام الله للأمم والأجناس. إنها سياط الله.. فإلى متى لا تشعرون بسياط الله بها تُضربون، وبها إلى الجنة تساقون؟ ولكنكم حتى في طريقكم هذه ما زلتم مع أنفسكم، وفي هاوية من فجوات نفوسكم تتعثرون.

فهلا إلى الله نرجع بمتاب، هلا نرد الأمور كلها إلى الله فندركها ونجد لها تعليلا فنستسيغها ونعقلها، هلا نتأمل لما في أنفسنا من فعلنا، ولما لله معنا فنجد أنها الطبيعة ترتل القرآن فيما تأتي من فعل يعبر عن حقيقة، ويدرك لبيان.

إنكم في هذا العام وفي هذه الأيام استقبلتم ضربات الطبيعة تساقط عليكم.. بل هي تعم الأرض إن كنتم لأمر تتأملون.. فيضانات جامحة في كل مكان، وأعاصير جبارة موجهة كاسحة في جميع الأركان، وآفات من السماء تحيط الحرث من الزرع والضرع إحاطة تذهب بجهد الناس لخلق أرزاقهم، فتذهب بثمرة عملهم فتجعله هباء.. يحيط بثمرهم فيصبحون مقلبين أكفهم على ما أنفقوا فيها غافلين عن حمده، مستزيدين بوهم صلاحهم من رفده.

انظروا إلى دودة القطن وما فعلت بالناس، {وما يعلم جنود ربك إلا هو}[٤]. حشرة صغيرة من الأرض تُعجِز هذا الإنسان المتكبر المتغطرس الدَّعي، وتُشهده ضعفه وهو لا يؤمن بضعفه ولا يؤمن بقدرة ربه.. ثم ها هي الأحداث تعمل فإلى نزغات قوم تذهب فتذهب بما دبروا. ويتآمر الشيطان

في عزته بفرقه فينصر الله الشيطان بجزاء. فهو ليس ببعيد عن معاني العبودية له والتكليف منه فيحقق الفرقة لمن طلبها لأن الله ملبي لنداء الطالبين فارقين أو موحدين. إن الله لا يعجزه أن يمنَّ بالكفر على طالبه. وما أعطاه الله الكفر إلا ليثبت قدرته ويثبت غناءه، ويظهر عظمته في نفسه ورحمته للمؤمنين. وما أعطى الله الإيمان إلا لطالب، وقد أخفى الإجابة في الدعاء. وما تفضل بالتوحيد إلا على عامل عمل بالتوحيد وآمنه وقامه منه فيه إقامة اتحد فيها فعله ومفعله.

إن الله عند مشيئة خلقه مشيئة له بقدرته وعظمته. إن الناس ليسوا عند مشيئة الله. فإنه غني عنهم وليس في حاجة لأن يفعلوا له بمشيئة فيه، ولكن الله بغنائه عند مشيئة عباده المفتقرين إليه يحقق لهم ما يطلبون، ويقيمهم فيما يرجون، مشيئته في مشيئتهم بها عند الناس يوصفون. أما الغافلون من عباده فيوجدهم إلى ما يعملون.. إلى أرباب من صنع أنفسهم يوكلون.. هي مما من دونه يعشقون يوما لهم يشهدون وعليهم يسلطون.

هذا هو الدين لمن أراد أن يكون في دين. وهذا هو اليقين لمن أراد أن يكون في يقين. وهذه هي النجاة لمن أراد أن يركب السفين. وهذه هي الطريق للطارقين أو الحوض للواردين والمائدة للطاعمين. فهلا كنا من المسلمين؟ نسأل الله أن يجعلنا من التائبين الراجعين.

اللهم إنا نجدد لك إسلامنا بإسلامنا لرسولك عاملا لا يغيب.. اللهم فاكتبنا به عندك من المؤمنين. اللهم أكرمنا برحمتك واجعلنا له من المقربين. اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا واجعلنا من الموقنين. اللهم فتقبل فراغ قلوبنا واجعلنا من الموحدين. اللهم برسولك فصِلنا، وبه فينا فابعثنا من الشاهدين، وإليك به أرجعنا من المشاهدين. اللهم إنا ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا وتب علينا وعافنا مما نحن فيه. وارفع بفضلك ومنتك البلاء عنا مما نعلم ومما أنت به أعلم وبنا منا أرحم.

فأنت بأمرنا منا أعلم، وبنا منا أرحم، وعلينا منا أقوم. اللهم أرجعنا من طريق الضلالة ووجهنا لطريق الإيمان والسلامة، وأنزل اللهم سكينتك على قلوبنا والسلم والسلام على أرضنا، وولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، واغفر لنا وتب علينا وارحمنا وأصلح أمرنا.. حكاما ومحكومين.. هداة ومهتدين.. مجاهدين ومتابعين.. يقظين وغافلين، وهيئ لنا سبيل الخير يا أرحم الراحمين. اللهم ارحمنا برحمتك واقبلنا بمن جعلته لنا وسيلتك من رسولنا من أنفسنا بجدناه فضللنا الطريق. اللهم اجعله لنا نعم الرفيق ولا تحرمنا منه في الدين والآخرة وفي كل طريق. لا إله غيرك ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

(حيثما يجاهد رجل واحد في العالم المادي لكي يرقي رجلا واحدا غيره فخلفه يوجد ألف روح يحاولون أن يعظموا انتصاره. لا يضيع مجهود في الخير أبدا ولن تفقد رغبة في الخدمة بتاتا).

(لو استطعتم الرؤية بعيون الروح لعرفتم أن في كل طفل عدالة كاملة. إني أصغي أحيانا إلى صلواتكم وأحيانا إلى صلوات غيركم. وأظن أنكم لن تسعدوا بالنتيجة لو استجاب الروح الأعظم إليها جميعا).

(طوفان النصر للروح قادم. الشريعة القديمة تموت مخلية الطريق للجديدة. الدنيا الجديدة مقبلة. ولكن لا تظنوا أنه بسبب هذا النصر سوف تزول الأماكن المظلمة. سوف يستمر ذرف الدموع سيولا. ستكون هناك قلوب محطمة كثيرة. إن هناك تضحية عظيمة يجب أن تقع).

(أنا الذين تدعونه سلفربرش أمثل فقط جزءا صغيرا من المعرفة التي تتبع المستويات اللانهائية. وكلما نموتم أمكن لمعلمين آخرين أعظم مني أن يستخدموني لأوصل إليكم معرفة وحكمة أعلى. ليس هناك درجة نهائية. ليس هناك كمال. أنتم تتطورون وأنا كذلك. والذين هم أعلى مني يقولون إنه يعمل وراءهم أناس أعلى أيضا. ليس هناك علو نهائي. لأنكم لو وصلتم للنهاية يتوقف الخلق).

من هدي السيد الروح المرشد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ "كلمة "لدات" تعني لغويا الشخص الذي وُلد معك في نفس الوقت أو تربى معك. ولكن استخدام كلمة "لدات" مجازيا يشير إلى الأرواح أو الذوات المتآخية المتحابة والمتحدة في جوهرها. وهو ما يستعمله السيد رافع في أكثر من سياق.

٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها"، رواه الطبراني في "الكبير" وذكره الغزالي في الإحياء.

٣ سورة هود - ٨١

٤ سورة المدثر - ٣١